

بيان الحلم الوصايا: موضوع إلغاء الطائفية السياسية في لبنان

الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين

من مجموعة نصوص «الوصايا»

2001

هذه وصية بالنسبة إلى موضوع إلغاء الطائفية السياسية . وهذا شعاراً من الشعارات الثابتة في السياسات اللبنانية. وقد تبيناه: تبناه «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى». وتبيناه شخصياً على مدى سنوات طويلة، وعملنا بصيغ متنوعة، بالتعاون مع كثيرين. على بلورة هذا الشعار بمشروع للنظام السياسي في لبنان لا يقوم على مبدأ الطائفية السياسية. وقد وضعت مشروعاً الخاص في هذا الشأن. وهو «مشروع الديمقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى».

ولكنني تبصرت عميقاً في طبيعة الاجتماع اللبناني، وفي المجموعات المكونة للمجتمع اللبناني، وفي طبيعة النظام البرلماني، الذي يتميز بخصوصيات معينة نتيجة للتنوع الطائفي... وتبصرت عميقاً في تفاعلات الفتن اللبنانية، وفي خفايا ما حمله في ثناياها أفكار القيادات في هذه الطوائف. سواء أكانت قيادات سياسية أو قيادات دينية أو قيادات ثقافية، على تفاوت ما بين هنا وهناك...

تبين لي أن إلغاء نظام الطائفية السياسية في لبنان يحمل مغامرة كبرى قد تهدد مصير لبنان. أو على الأقل ستهدد استقرار لبنان. وقد تخلق ظروفاً للاستقواء بالخارج من هنا ومن هناك، ولتدخل القوى الأجنبية من هنا ومن هناك.

ولذلك فإني أوصي الشيعة اللبنانيين بوجه خاص، وأمتي وأوصي جميع اللبنانيين مسلمين ومسيحيين، أن يرفعوا من العمل السياسي، من الفكر السياسي، مشروع إلغاء الطائفية السياسية، لا بمعنى أنه يحرم البحث فيه والسعي إليه، ولكن هو من المهمات المستقبلية البعيدة، وقد يحتاج إلى عشرات السنين لينضج بحسب نضج تطور الاجتماع اللبناني وتطورات المحيط العربي بلبنان.

أوصي بالثبات والالتزام بنظام الطائفية السياسية، مع إصلاحه. وأعتقد أن صيغة «الطائف» هي صيغة نموذجية في هذا الشأن، والنظام السياسي اللبناني الذي بُني عليها هو نظام سليم، لولا ما شابته من بعض الأخطاء سواء في صياغة «وثيقة الطائف»، في صياغة «اتفاق الطائف» وما تفرع عنه، أو في مجال التطبيق.

نحتاج إلى جهد وطني مخلص للنظر في العيوب والثغرات الموجودة في نظامنا الطائفي القائم على «اتفاق الطائف»، والذي تقوم الدولة القائمة الآن عليه. نحتاج إلى تبصر عميق في اكتشاف هذه الأخطاء، وإصلاحها، وإبقاء الباب مفتوحاً لتدارك كل خطأ.

أعتقد أننا بهذا سنحقق للبنان استقراراً سياسياً، وإمكانات كبرى للاندماج الاجتماعي، ولثقافة المتبادلة بين مجموعاته، ولتسريع حركة النمو والتقدم.

وأعتقد أن لبنان بهذا سيقبى منارةً ونموذجاً لكل المجتمعات الأخرى التي تتميز بالتنوع الشديد. إذا وجد مجتمع من هذا القبيل في لبنان.